أحزان المطر

في كل عام نحزن على جدة، وفي كل عام تأتي تصريحات المسؤولين المطمئنة، وأننا سنفعل وسنفعل، وفي كل عام نشعر بالإحباط وخيبة الأمل، حين نجد نفس المسؤولين من أكبرهم إلى أصغرهم يخرجون من جديد للتبرير، ولم يتغيروا، ولم تتغير جدة.

مئات المليارات التي أنفقتها الدولة على جدة دون جدوى وتبخرت وذهبت أدراج الرياح ليست وحدها هي الخسارة، بل هناك مئات المليارات الأخرى التي يخسرها المواطنون وسكان جدة عموماً كل عام في تجارتهم ومصالحهم ومنازلهم ومركباتهم، وهناك خسائر فادحة أخرى لا تقدر بأموال الدنيا، وهي خسارة الأرواح التي تزهق كل عام.

(أيُّ حزنٍ يبعثُ المطرُ) يا جدة، أحزن مريض يحبس في منزله، أم حزن أمٍّ ملهوفة على عودة طفلها الذي تخشى عليه من الماء وصعقات الكهرباء، أم حزن رجل يرى حلمه يغرق بغرق بيته؟!

أي حزن، ونحن نرى كورنيشك الجديد المجاور للبحر يغرق هو أيضاً، ليس بماء البحر وإنما بماء المطر؟!

أي حزن، ونحن نرى ساحات المطار الجديد غرقى، وهو واحد من أكبر المشاريع الإستراتيجية الحديثة التي أنشئت بعد كارثة سيول ٢٠٠٩؟!

أي حزن، ونحن نرى الماء يخرج حتى من مقابس الكهرباء في فلل وشقق تجار العقار الكرتونية التي يبيعونها على المواطن المسكين بالملايين؟!

أي حزن، ونحن نكتب كل عام عن كارثة مطرية فيك يا جدة؟!

وهنا يجب أن نسأل، ثم نسأل، ثم نسأل: هل القائمون على مشاريع جدة مهندسون فعلاً؟!

هل يعقل أن نرى الشوارع كالأنهار بينما المجاري التي تم إنشاؤها لتصريف السيول أصلاً فاضية؟! هل يعقل أن نرى (كوبري) معلقاً في الهواء مثل كوبري الميناء يغرق؟!

هل يعقل أن نرى الكورنيش الجديد المجاور للبحر يغرق وهو لا يحتاج سوى مراعاة درجة الميلان باتجاه البحر؟!

هل يعقل أن يتم رفع الماء من الأنفاق إلى الشوارع ليعود من جديد داخل الأنفاق؟!

هل يعقل أن نرى ساحات المطار الجديد غرقى ومحطة معالجة المياه بجانبه؟!

هل يعقل أن نرى أرصفة الشوارع الجديدة بارتفاع ربع متر لتحتجز الماء بينها وتحتجز السيارات داخلها؟!

هل يعقل أن (يخرخر) سقف مشروع جديد بعد استلامه بأيام؟!

وهل يعقل، أن أشك في عقلي، أم أشك في جيوب الفاسدين من المقاولين والمهندسين والمشرفين على المشاريع، ومسؤولي المناقصات والمستخلصات، والمتواطئين معهم في كل زاوية من زوايا المؤسسات الحكومية والجهات الرقابية؟!

وهل يعقل أن أصحو غداً على إعفاءات بالجملة، وإيقافات بالجملة لكل خونة جدة، لكل أباطرة الفساد فيها، لكل المتهاونين الراقدين عنها، لكل العابثين بها وبسكانها، ولكل من باع ضميره وباع وطنه لأجل حفنة من الريالات؟!

هل يعقل أن نفرح غداً بعد أن حزنَّا اليوم؟!